أَلفِعْلُ (سَمِعَ) وَصِيَغُهُ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ

د. ليث سعدون كوة م.م. هاني كنهر عبد زيد العتّابي
المديرية العامة للتربية - محافظة واسط
جمهورية العراق

فحوى البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة الفعل (سَمِع) وتصريفاته في الاستعمال القرآني، وبيان أثر السياق في انتاج المعنى، من خلال القرائن اللفظية، والمناسبة التي سيقت فيها، ويصف حركة تلك الأفعال في داخل السياق القرآني من حيث التعدية واللزوم، ويعرض آراء اللغويين والمفسرين في ذلك. كما أن البحث يسعى إلى الوقوف على النكات القرآنية في استعمال الفعل (سمع) وتصريفاتـــه من حيث تعاور المفردات وافرادها وجمعها, وتقديم تصريفات السمع على غيرها من الافعال والاسماء.

المقدّمة:

الفعل (سمع) واحدٌ من الأفعال التي شغلت حيّزا دلالياً واسعاً من القرآن الكريم؛ فأمر القرآن الكريم الناس وحثّهم على السمع في غير موضع منه، ونفى السمع عن الذين وصفهم القرآن بالموتى أو الأنعام، ووصف صورة المسموع في الجنة، وغير المسموع فيها، ومن ذلك يتضح تنوّع دلالات الفعل (سمع) وصيغه في القرآن الكريم، وهنا تظهر أهمية دراسة هذا الفعل للوقوف على النكات القرآنية فيه، من حيث دلالته، والسياق الذي ورد فيه وتعاور المفردات وافرادها وجمعها، وتقديمه على غيره من الافعال والاسماء وتقدّمها عليه؛ فجاء البحث يحمل عنوان: (الفعل (سمع) وصيغه في القرآن الكريم)، وبعد جمع المادة العلمية من بطون كتب اللغة والنحو وتفاسير القرآن وعلومه اقتضى البحث أن يكون في خمسة محاور:

المحور الأول:

الدلالة اللغوية للفعل سمع:

ذكر الخليل (ت١٧٥هـ) أنَّ السَّمْع بفتح السين وسكون الميم يراد به: ((الأذن، وهي المسمعة، والمسمعة خرقها، والسمع ما وقر فيها من شيء يسمعه. يقال: أساء سمعاً فأساء اجابة، أي: لم يسمع حسنا فأساء الجواب))[١] ويُقَال لسمع الْأذن ((المِسْمَع وَهُوَ الخَرق الذي يُسمَع به))[٢]. والسَّمعُ عند اللغويين: حِسُّ الأُذن؛ قال ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ): ((السين والميم والعين أصل واحد، وهو إيناس الشيء بالأذن، من الناس وكل ذي أذن. تقول: سمعت الشيء سمعا))[٣]، وَمنه قَد سَمِعَه سَمعاً وسِمعاً وسَماعاً وسَماعةً وسَماعِيةً[٤].

فالسّمع هو إدرَاك المسموع، وهو يختلف من حيث الدلالة عن الاستماع؛ قال العسكري (ت نحو ٣٩٥ هـ)،: ((أن

(١) العين: مادة (سمع) ١/ ٣٤٨.
(٢) تهذيب اللغة: مادة (سمع) ٢/ ٧٤.
(٣) مقاييس اللغة: مادة (سمع) ٣/ ١٠٢.
(٤) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: مادة (سمع) ١/ ٥١١، و المخصص: مادة (سمع) ١/ ٩٠، ولسان العرب: مادة (سمع) ٨/ ١٦٢، والقاموس الحيط: مادة (سمع) ١/ ٧٣٠، وتاج العروس: مادة (سمع) ٢١/ ٢٢٣.

الاستماع هو استفادة المسموع بالإصغاء إليه لفهم ولهذا لا يقال إن الله يستمع وأما السماع فيكون اسما للمسموع يقال لما سمعته من الحديث هو سماعي ويقال للغناء سماع ويكون بمعنى السمع تقول سمعت سماعا كما تقول سمعت سمعا والتسمع طلب السمع مثل التعلم طلب العلم))[٥]؛ لأنَّ صيغة استفعل تحمل معنى الطلب، أي طلب السمع، ومن الأفعال التي تشترك مع الفعل بمعنى الادراك إلّا أنها تختلف عنها ببعض الخصائص الدلالية (أصغى -أصاخ -التفت- استرق) فتقول: ((تقول: سمعت له، وإليه، وأصغيت له، وأصخت له، وأرعيته سمعي، وراعيته سمعي، وأقبلت عليه بسمعي، ورفعت له حجاب سمعي، وألقيت إليه السمع. وتقول لمن تحدثه: سمعك إلي، وسماعك إلي، وسماع كحذار، أي اسمع))[٦]. زد الى ذلك المعاني الثانوية للفعل سمع التي يفرضها السياق أو تأتي على سبيل التضمين، أو المجاز، كمجيء سمعت بمعنى أجبت؛ ومنه قولهم: سَمِعَ الله لمن حمده؛ أي أَجاب حَمده[٧]. والسَمعُ: سمعُ الإنسان، يكون واحداً وجمعاً؛ لأنَّه في الأصل مصدرُ قولك: سمعت الشيء سمعا وسماعا. وقد يجمع على أَسماعٍ، وجمع الأَسماعِ أَسامِعُ[٨]. وخلاصة القول أنَّ السمع هو حسّ الأذن وهي قوة فيها تدرك الأصوات، وقد يأتي بصيغ صرفية متنوعة ليدل على معنى الادراك.

المحور الثاني:

دلالة الفعل سمع في القرآن الكريم.

ورد الفعل سمع في القرآن الكريم بمعناه اللغوي العام: إدراك الشيء، غير أنَّ السياق القرآني يضفي عليه دلالات أخرى تتضح للباحث فيها، من خلال توزيعها اللغوي وسوقها في سياقات متنوعة لتنتج معنى مناسباً للسياق الذي وضعت فيه، ويكون مطابقاً لمقتضى الحال، وذلك أنَّ ((دراسة معاني الكلمات تتطلب

(٥) ينظر: الفروق اللغوية: ١/ ٨٩.
(٦) نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد: ٢١/ ٢٢٣.
(٧) ينظر: لسان العرب: مادة (سمع).
(٨) ينظر: الصحاح: مادة (سمع) ٣/ ١٢٣١-١٢٣٣.

تحليلا للسياقات والمواقف التي ترد فيها))[9]؛ لأنَّ ((معنى الوحدة الكلامية يعتمد بشكل جوهري على السياق))[10]، ومن خلال تحليل السياق اللغوي للفعل سمع في القرآن الكريم تبيّن أنَّه يدور في ثلاثةِ معانٍ:

١. ادراك المسموع والعلم به.

- قولـــه تعالى: ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ [سورة البقرة: ١٨١].

الآيـة تبيّن حكم الوصيّة، أي: من بـدّل الوصية بعد ما سمعهـــا، فإثم ما بدَّل عليه[11]. وورد فيها الفعل (سمع) مسبوقاً بالفعل (بدّل) الذي يحمل معنى التغيير والتحريف، ليكون (سمع) بمعنى ادراك الشيء والعلم به لأنّ قوله ((بَعْدَ مَا سَمِعَهُ)) تَعْلِيلٌ لِسبب الوَعِيدِ وتفسيرٌ له؛ ((لأنه بَدَّلَ مَا سَمِعَه وتحققه وَإِلَّا فَإِنَّ التبديل لا يُتصوّر إِلَّا في معلوم مسموع إذ لا تتوجّه النفوسُ إلى المجهول))[12].

والمُبَدِّل يراد به الوصي أو الشاهد، فالأول إذا قام بتغيير الوصية، أو بدل في قسمة الحقوق، والثاني بأن يغير الشهادة ويحرفها، والضمير في الفعل بدله كناية عن الوصية، مع كـون الضمير مذكرا والوصية مؤنثة، لأن الوصية تأتي بمعنى الإيصاء ودالـة عليه، أي: فمن بدل ما أوصى به الميت، وقد يكون الضمير (الهاء) يعود إلى الحكم والفرض والتقدير؛ أي: فمن بدل الأمر المقدم ذكره، وقد تكون الكناية عائدة إلى معنى الوصية وأصلها، وهو قول الميت مع أن التأنيث في الوصية تأنيث مجـازي، فيجـوز أن يكنى عنها بكناية المذكر[13].

فالفعل (سمع) بمعنى العلـــــم بالمسموع بعد ادراكـه، لأنّ ((الإثـم إنما يثبت أو يعظم بـشرط أن يكون المبدل قد علم ذلك، لأنه لا معنى للسماع لو لم يقع العلم به، فصار إثبات سماعه كإثبات

(٩) علم الدلالة (عمر): ٦٩.
(١٠) اللغة والمعنى والسياق: ٢١٥.
(١١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٣/ ٣٩٧.
(١٢) التحرير والتنوير: ٢/ ١٥٢.
(١٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ٥/ ٢٣٥، والبحر المحيط: ٢/ ١٦٥.

علمه))[14]، وقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾؛ أي: سميع لما يُوصي به الموصِي، عليم بما تعملون وما تحرّفون[15].

وقد ورد الفعل (سمع) مسنداً إلى من يقوم بفعل التبديل والتحريف لما يسمع من غير ذكر لفظ العلم؛ لأنّه متحمل له وسبب من أسبابه، أما لفظة (سميع) الخاصة بلفظ الجلالة فقد أتبعت بـ(عليم) مع كون صفة السمع ممهّدة لصفةِ العلم؛ لأنَّ صفة العلم (عليم) جاءت لتستشرف مستقبل فعل السامع؛ لتبيّن علم الله تعالى بما يفعل بعد سماع الوصية. أي: ((إِنَّ اللهَّ سَمِيعٌ لما قد قاله الموصي عَلِيمٌ بما يفعله الموصَى إليه))[16]. وقد سيق الفعل (سمع) مسنداً إلى لفظ الجلالة في غير موضع من القرآن الكريم للدلالة على الادراك والعلم الكلّي الشامل؛ لأنّه يتضّمن معنى الغيب، كقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾[سورة آل عمران: ١٨١]، وقوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[سورة المجادلة: ١].

والفعل (سمع) هنا يدُلُّ على أَنَّ الله تَعَالَى سَمِيعٌ لِلأَقوَالِ عليم بها، قال الأصفهاني(ت: ٥٠٢هـ): ((وإذا وصفت الله تعالى بِالسَّمْعِ فالمراد به علمه بِالْمَسْمُوعَاتِ))[17]، ومن الجدير بالباحث أن يسأل: إذا كان الفعل (سمع) بمعنى (علم)، لماذا لم يقل (علم الله)؟. وقد ورد الفعل (علم) مسنداً الى لفظ الجلالة في غير موضع من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾[سورة البقرة: ١٨٧]، وقوله: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٥].

وفي الاجابة عن ذلك ينبغي متابعة السياق القرآني؛ لأنّ السياق هو الذي يحدد استعمال أحد الفعلين دون الآخر، وبعد متابعة السياق القرآني اتضّحَ أن الشيء المعلوم إذا كان قولاً كائناً أو ممّا يدرك عن طريق السمع، نجد القرآن الكريم يستعمل الفعل (سمع) لمناسبة

(١٤) مفاتيح الغيب: ٥/ ٢٣٥.
(١٥) ينظر: الهداية الى بلوغ النهاية: ١/ ٥٧٨.
(١٦) زاد المسير: ١/ ١٣٩.
(١٧) المفردات في غريب القرآن: ١/ ٤٢٦.

صفة السماع له، ونستدلّ على ذلك بقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾؛ إذ قيل: إن سَبَب نزُول الْآيَة ((أَنه لما نزل قَوْله تَعَالَى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [سورة الحديد: ١١] قالت اليهود: إن الله يستقرض منا أموالنا؛ فإذن هو فقير ونحن أغنياء وما قالوا ذلك عن اعتقاد، ولكن تمويها على المسلمين، وتشكيكا لهم))[١٨]، فالفعل (سمع) مناسبٌ لإدراك القول والمجادلة والعلم بهما.

أمّا إذ كان المُدرَك عاماً لا يناسب صفة السماع جاء الفعل (علم) بمفهومه العام للدلالة عليه كما في النصوص السابقة، وإذا كان مما يُرى ناسبه الفعل (رأى)، وفي القرآن الكريم نصوص غير قليلة أُسنِد فيها الفعل (رأى) ومشتقاته الى الله، فالمفردة القرآنية تناسب السياق الذي تساق فيه غير أن المفهوم العام لتلك الأفعال هو العلم.

٢. ادراك المسموع وفهمه والانتفاع به.

(١٨) تفسير القرآن للسمعاني: ١/ ٣٤٨، وينظر: أسرار ترتيب القرآن: ٦٨.

- قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الزخرف: ٤٠].

جاء الفعل سمع في النصّ القرآني مشحونا بمعنى سماع الشيء وفهمه وادراكه والانتفاع به، والاستفهام فيه معنى النفي أيّ: أنه ليس بإمكانك هداية من سدّدنا بصيرته، ولبّسنا عليه رشده، ومن صببنا في مسامع فهمه الشقاء والحرمان؛ فكيف يكون بإمكانك إسماعه؟.[١٩]، مع أنّ رسول الله ﷺ كان يجتهد في دعوة قومه، وحثّهم الى الايمان، وهم لا يزيدون على دعائه إلا تمسّكا بالكفر[٢٠]، فجاء النصّ القرآني لينكر قدرته على هدايتهم، وذلك لفقدهم مسألة الفهم والتدبر لما يقوله والانتفاع به، والانخراط في مسيرته.

فالأصمّ هو ((من قد سلبه اللهُ استماع حججه التي احتجّ بها في هذا الكتاب فأصمّه عنه... واستحوذ عليه الشيطان،

(١٩) ينظر: لطائف الاشارات: ٣/ ٣٦٨.

(٢٠) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٤/ ٢٥٣.

فزيّن له الردى))[٢١]، بسبب رغبته عن سماع تلك الحجج وفهمها وادراكها وتطبيقها، وقد ورد هذا المعنى في غيرِ آيةٍ من القرآن الكريم؛ إذ ذكرَ الصمّ وأراد بهم الذين يمتنعون عن الانتفاع بما يسمعون، كقوله تعالى: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٧١]، وقوله: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾[سورة الأنفال: ٢٢]، كما خصَّ الله سبحانه وتعالى التبليغ والاسماع بالرسل، وجعلَ الهداية من مشيئته وحده، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[سورة الانعام: ٣٩]. فلم يكن المراد اسماع الآذان كما لم يرد بالهدى هداية البيان؛ لأنّ رسول الله ﷺ كان يعلم ذلك، وقد فعل ولكنه أراد الهداية التي لا يملكها إلا الله، والإسماع المشحون بالانتفاع الذي لا يفعله غيره، وهو التوفيق والعصمة والرشد الذي إذا أعطي لأحدٍ اهتدى[٢٢]؛ لأنّ أصمّ القلب لا يفهم ما يسمعه، ووصفه القرآن بِدرجات متفاوتة بين العَشَى والعَمَى، وذلك أنَّ الانسان كلّما زاد اشتغاله بالدنيا، فقدَ سمعه وبصيرته[٢٣]، و((ثبت في علوم العقل أن كثرة الأفعال توجب حصول الملكات الراسخة فينتقل الانسان من الرمد إلى أن يصير أعشى فإذا واظب على تلك الحالة أياما أخرى انتقل من كونه أعشى إلى كونه أعمى، فهذا ترتيب حسن موافق لما ثبت بالبراهين اليقينية))[٢٤] التي ترسم سلّم التكامل والتسافل.

والنصّ فيه تَسليةٌ للرسول الأكرم ﷺ، وبياناً لطبيعة الهدى والضلال، ورجعهما إلى مشيئة الله وتقديره وحده وإخراجهما من نطاق وظيفته، ووضع الحدود الفاصلة بين القدرة الإنسانية المحدودة في أعلى درجاتها عند الرسل، والقدرة الإلهية الشاملة[٢٥]. وقد مثّل القرآن الكريم

(٢١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢١/ ٦٠٨.

(٢٢) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٩/ ١٦٧.
(٢٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٧/ ٦٣٤.
(٢٤) المصدر السابق: ٢٧/ ٦٣٤.
(٢٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٨/ ٣٤٦،

فريقي الكفر والإيمان كمثل الأعمى الذي لا يرى بعينه شيئًا، والأصم الذي لا يسمع شيئًا وذلك في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة هود: ٢٤]، ففريق الكفر الذي لا يبصر الحق فيتبعه ويعمل به، ولا يسمع داعي الله إلى الرشاد، فيجيبه إلى الهدى فيهتدي به[٢٦]، ووظيفة الرسول أن يُسمع الذين يسمعون، وأن يهدي الذين يبصرون. فإذا عطّلوا جوارحهم، وطمسوا منافذ قلوبهم وأرواحهم[٢٧]، مع سلامة حواسهم وصحّتها، فما للرسول الى هدايتهم من سبيل ولا عليه من ضلالهم، فقد قام بواجبه الذي يطيق.

وقد وصفهم القرآن الكريم بالأنعام، ثمّ بيّن أنّهم أضلّ منها، لأنّها لا تمتلك ما يمتلكونه من نعمة الادراك والفهم إلّا أنهم عطّلوا تلك النعم وهجروها، إذ جاء الكتاب الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [سورة الاعراف: ١٧٩]، أي: أنهم لم يستعملوا تلك الحواس في معرفة حقائق الأشياء، وما أدرج فيها من المعاني والحكمة، فصاروا في الحقيقة كمن لا حواس له؛ إذ لم ينتفعوا بها بل كانوا كمن ليس لهم سمع ولا بصر[٢٨] لم ينتفعوا بأسماعهم وأبصارهم انتفاع من يتمتع بها، فصاروا كالأنعام، بل هم أدنى منها درجة؛ لأنّهم ضلوا الطريق، وكانوا مع حثّ الرسل لهم لا يهتدون بخلاف الدواب التي تهتدي الى الطريق وتميل اليه إذا ما اهتدت اليه.

وفي سياق قرآني آخر يرد الفعل سمع بصيغة الاستفعال ليدلّ على معنى الاصغاء المفرّغ من الفهم والانتفاع، فيبيّن القرآن الكريم ذلك الغطاء الذي يغطي قلبه، ليكون السمع في النصّ بحاجة الى الفهم والانتفاع، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [سورة الانعام:

وفي ظلال القرآن: ٥/ ٣١٩٠.

(٢٦) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٥/ ٢٩١.

(٢٧) ينظر: في ظلال القرآن: ٥/ ٣١٩٠.

(٢٨) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٥/ ٩٦.

٢٥] فالسامع يستمع القرآن، ويستمع ما يدعو إليه من توحيد الله، وأمره ونهيه، ولا يفقه ما يسمعه، فيفهم حجج الله عليه في تنزيله الذي أنزله، فيسمع ولا يعقل، لأن الله قد جعل على قلبه أكنّة وهو الغطاء[٢٩]، ويظهر أن السماع في النصوص السابقة لم ينحصر بمعنى الادراك بالحاسة، وإنما جاء بمعنى الادراك والفهم والانتفاع، وبخلاف ذلك ينفى ذلك السماع.

٣. ادراك المسموع والاصغاء والاستجابة له.

- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ١٠٤].

النصّ القرآني يخاطب طائفة من المجتمع خصهم الله سبحانه وتعالى ببعض الأوامر والنواهي التي من شأنها أن تهذبهم وتقودهم إلى طريق الصلاح، وهم الذين آمنوا، وجاء الخطاب على طريقة أسلوب النداء، إذ إنهم كانوا يقولون (راعنا يا رسول الله وأرعنا سمعك) ويريدون به المراعاة، وتظافرت أقوال المفسرين على القول بأن هذه اللفظة تعدُّ سبّا بلغة اليهود، و معناه عندهم: اسمع لا سمعت، وهو إلحاد إلى الرعونة، فكانت طائفة منهم يقولون له: راعنا يا محمّد ويضحكون فيما بينهم[٣٠]؛ فنهى القرآن الكريم عن هذه اللفظة، وأمرهم بقوله (وَقُولُوا انْظُرْنَا) لتصحيح الخطاب الجاري بينهم، لتأثره بلغة اليهود، وضياع المقصود منه على سبيل التورية.

وذكر بعض المفسرين أنَّ الأَمر بالإنظار يقع موقع التشفع في النظرة لوجهين: بالصحبة مرةً، وبالخطاب مرة اخرى؛ فقولهم: (انْظُرْنَا) لما لا يبلغ أفهامنا القدر الذي يعني ما يخاطبنا به. والثاني: على قصور عقولهم عمّا يتطلّب الإيجاب له[٣١]. وقيل أن في معناه ثلاثة تأويلات: أحدها: أفهمنا وبين لنا. والثاني: أمهلنا.

(٢٩) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١١/ ٣٠٥، والنكت والعيون: ٢/ ١٠١.

(٣٠) ينظر: الكشف والبيان: ١/ ٢٥١، وتأويلات أهل السنة: ١/ ٥٢٨، وبحر العلوم: ١/ ٨٠، والنكت والعيون: ١/ ١٦٩ - ١٧٠.

(٣١) ينظر: تأويلات أهل السنة: ١/ ٥٢٨.

والثالث: أقبل علينـــا وانظر إلينا[٣٢].

ويبدوا أن المراد بالإنظار هنا الافهام والدعوة اليه، بدلالة مجيء الفعل سمع بعده، وهو قوله (واسمعوا) أَي: اجيبوا له، وأطيعوا لـه[٣٣]، فالسمع هنا تضمّنَ معنى الاصغاء والطاعة والاجابة بدلالة السياق الـذي سيق فيه، ليكون المعنى ((أطيعوا لأنّ الطّاعة تحت السّمع))[٣٤]؛ فـالمراد منه فـرغـوا أسماعكم لما يقول الرسول ﷺ واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم سماع اليهود حيث قـالـوا: سمعنا وعصينا، ولا تتمسكوا بما نهيتم عـنـه[٣٥]. وقـال أبـو حيّان (ت ٧٤٥هـ): ((واسمَعُوا: أَي سَمَاعَ قَبولٍ وطَاعَةٍ))[٣٦]، وذلك أنَّ الخطاب للذين آمنوا؛ إذ يناديهم بالصفة التي تميزهم، وتربطهم بربهم ونبيهم، والتي تستجيش في نفوسهم الاستجابة والتلبية.

وبهـذه الصفـــة ينهاهم أن يقولوا (راعنا)، ويدعوهم الى أن يقولوا بدلاً منها في اللغة العربية: (انْظُرْنا) ويأمرهم بالسمع بمعنى الطاعـــة، و يختم الآية بتحذيرهـــم من مصير الكافرين وهو العذاب الأليم[٣٧].

وفي سياق آخر يـأتي الفعـل سمع مسبوقاً بفعـل الاستجابة للدلالة على طاعة المسموع والاستجابة له، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[سورة الأنعام: ٣٦] أي الذين يسمعون سَمَاعَ قَابِلِينَ، وجَعَلَ من لم يَقْبَل بِمَنْزِلَة الأصـم[٣٨]، إذ ذكـر الطبري (ت٣١٠هـ) في سياق هذه الآية ((لا يستجيب لدعائك إلى ما تدعوه إليه من ذلك إلا الذين فتح الله أسماعهم للإصغاء إلى الحق، وسهَّل لهم اتباع الرُّشد، دون من ختم الله على سمعه، فلا يفقه من دعائك إياه إلى الله وإلى اتباع

(٣٢) ينظر: النكت والعيون: ١/ ١٦٩ – ١٧٠.
(٣٣) ينظر: تأويلات أهل السنة: ١/ ٥٢٨، وبحر العلوم: ١/ ٨٠.
(٣٤) الكشف والبيان: ١/ ٢٥٢، وينظر: المحرر الوجيز: ١/ ١٨٩.
(٣٥) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣/ ٦٣٤.
(٣٦) البحر المحيط: ١/ ٥٣٩.
(٣٧) ينظر: في ظلال القرآن: ١/ ١٠٠.
(٣٨) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢/ ٢٤٥.

الحق إلا ما تفقه الأنعام من أصوات رُعاتها))[٣٩]، وهو تصريح بسماعهم لما يؤمرون به واتباعه والانتفاع به، فيستجيب لداعي الإيمان الذين يقيمون الآيات ويتلقون البراهين بالقبول، فعبّر عن ذلك كله بلفظة (يَسْمَعُونَ) و((وهذه لفظة تستعملها الصوفية إذا بلغت الموعظة من أحد مبلغا شافيا قالوا سمع))[٤٠].

والأسلوب قائم على الحصر بـ(إنّما) التي تضفي على النصّ تخصيص الاستجابة بالسمع المتضمّن معنى الطاعة، وبخلاف ذلك السمع يكون الانسان كالأنعام أو أضلّ منها، أو يكون كالميّت الذي تتعطل حواسه.

المحور الثالث:

تعدّي الفعل سمع في القرآن الكريم.

ورد الفعل (سمع) في القرآن الكريم على أربع حالات نحوية من حيث التعدّي واللزوم:

١. أن يكون الفعل (سمع) متعدياً الى مفعولٍ واحد.

ورد الفعل (سمع) متعدياً الى مفعولٍ واحدٍ في غيرِ موضعٍ من القرآن الكريم، وهو الأصل فيه، إذ ذكر النحويون أن الفعل (سمع) من الأفعال المتعدية لمفعولٍ واحد شريطة أن يتعدى الى ما يسمع، قال العكبري(ت ٦١٦هـ): ((فأما (سمعت) فالقياس أن يتعدى إلى واحد مما يسمع كقولك سمعت قولك وصوتك))[٤١]. والى ذلك ذهب أغلب النحويين[٤٢]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً ﴾ [سورة البقرة: ١٧١]، وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ ﴾[سورة آل عمران: ١٨١]، وقوله: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ﴾ [سورة الزخرف: ٨٠]، فالفعل سمع في النصوص القرآنية السابقة متعدٍ الى مفعولٍ واحدٍ وهو الأصلُ فيه.

(٣٩) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١١/ ٣٤١.

(٤٠) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢/ ٢٨٨.

(٤١) اللباب في علل البناء والإعراب: ١/ ٢٦٨.

(٤٢) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٥٤٤، والمقتصد في شرح الإيضاح: ١/ ٥٩٧، وشرح المفصل: ٧/ ٦٢، وشرح الجمل لابن عصفور: ١/ ٣٠٢.

٢. أن يكون الفعل (سَمِعَ) متعدياً إلى مفعولين.

ذهب النحويون إلى أنَّ الفعل «سَمِعَ» من حقّهِ أنْ يتعدى إلى مفعول واحد كسائر الأفعال الأُخرى إذا دخلَ على مسموعٍ -كما سبق -كقولنا: سمعتُ كلامَ زيدٍ، أمّا إذا جاءَ بعده اسم عين، أو ما لم يصح أنْ يُسمع كقولنا: سمعتُ زيداً ينادي، فاختلف النحويون فيه[٤٣]؛ فمنهم من ذهبَ إلى أنَّ الفعل (سَمِعَ) هنا متعدٍ إلى مفعولٍ واحدٍ، والجملة بعده في موضع نصبٍ صفةٌ إذا كان المفعول به نكرة، وفي موضعِ نصبٍ حالٌ إذا كانَ المفعول به معرفة، كقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴾ [سورة الأنبياء: ٦٠]، قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ) في توجيه الفعلين بعد (سَمِعْنَا فَتًى): ((هما صفتان لفتىً إلّا أنَّ الأوّلَ وهو "يذكرهم" لابُدَّ منه لسمعٍ؛ لأنَّك لا تقولُ: سمعتُ زيداً وتسكت، حتى تذكر شيئاً ممّا يسمع، وأمّا الثاني: فليس كذلك))[٤٤].

ومنهم من ذهب إلى أنَّ الفعل (سَمِعَ) متعدٍ إلى مفعولين، وجملة «يذكرهم» ثاني مفعوليها، وهذا ما ذهب إليه الأخفش[٤٥]، وتابعه فيه أبو حيان، إذ اعترضَ على توجيه الزمخشري، وذكر أنَّ إعرابه جملة «يذكرهم» صفة، لا وجهَ له، لذا يصحُّ أنْ تعربَ مفعولاً ثانياً للفعلِ «سَمِعَ»[٤٦]، وأوضح ذلك ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) بقوله: ((وألحَقَ الأخفش والفارسي بعلم ذات المفعولين سَمِعَ الواقعة على اسم عين ولا يكون ثاني مفعوليها إلّا فعلاً دالّاً على صوت))[٤٧]، واستدلَّ بالآية نفسها، وأضاف إلى ذلك أنَّ المفعولَ الثاني يجوزُ حذفُهُ إذا دلَّ عليه دليل[٤٨]، واستدلَّ بقوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴾ [سورة الشعراء: ٧٢]؛ أي: هل يسمعونكم تدعون إذ تدعون؟.

(٤٣) ينظر: شرح الجمل لابن عصفور: ١/ ٣٠٣، والبسيط في شرح الجمل: ١/ ٤٣٣، وخزانة الأدب: ٩ / ١٧٠.

(٤٤) الكشاف: ٤/ ١٥٢.

(٤٥) ينظر: خزانة الأدب: ٩/ ١٦٩.

(٤٦) ينظر: البحر المحيط: ٦/ ٣٠٢.

(٤٧) شرح التسهيل: ٢/ ٨٤.

(٤٨) ينظر: شرح التسهيل: ٢/ ٨٤.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ ﴾[سورة آل عمران ١٩٣]، إذ جاء بعد الفعل سمع ما لا يسمع وهو مصدر خلاف النحويين في تعدية الفعل سمع، وقد ذكر الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)، خلاصة القول في تعدي الفعل سمع، إذ قال: ((ذهب الأخفش والفارسي في الإيضاح وابن مالك وغيرهم أنَّه إنْ وليه ما يُسمع تعدّى إلى واحد كسَمِعت الحديث وهذا متفقٌ عليه، وإنْ وليه ما لا يُسمع تعدّى إلى اثنين ثانيهما ممّا يدلُّ على صوت))[٤٩] فيظهر أن الفعل سمع إذا تلاه اسم عين ينصب مفعولين أحدهما اسم العين والآخر الجملة التي تليه.

٣. أن يكون الفعل (سمع) متعدياً بحرف جر (الى -اللام -الباء).

قد يتضمّن الفعل (سمع) معنى فعل آخر فيتعدى بحرف الجر للدلالة على معنى الفعل الآخر، والمراد بالتضمين ايداع الشيء في الشيء[٥٠]، والتضمين في النحو هو إشراب لفظ معنى لفظ آخر فيأخذ حكمه. أو كلمة تؤدي مؤدّى كلمتين مثال: فعل يتعدّى بحرف وفعل يتعدّى بآخر والتضمين هو تعدية الفعل بحرف الفعل الثاني[٥١]، قال ابن جني (ت٣٩٢هـ): ((اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدَّى بحرف والآخر بآخر، فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانًا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه))[٥٢]، والتضمين يجعل الكلمة تؤدي معنيين؛ معناها الأصلي ومعنى الكلمة التي أشربت بها، وقد ورد الفعل (سمع) متعدياً بحرف الجر للدلالة على معنى الفعل الذي يتعدى بهذا الحرف على سبيل التضمين، وله في ذلك ثلاثة معانٍ:

الأول: أن يكون الفعل (سمع) مضمّناً معنى الإصغاء فيتعدى بحرف الجرّ (الى)[٥٣]، كقوله تعالى: ﴿ لَا يَسَّمَّعُونَ

(٤٩) روح المعاني: ١٧/ ٦٣.
(٥٠) ينظر: لسان العرب: مادة (ضمن).
(٥١) ينظر: أسرار البيان في التعبير القرآني: ٧٠.
(٥٢) الخصائص: ٢/ ٣١٠.
(٥٣) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٨٩٨، والنحو الوافي: ٢/ ٥٦٦.

إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴾ [سورة الصافات: ٨]؛ أي: لا يصغون، فعُدّي الفعل بـ (الى)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ [سورة الأنعام: ٢٥].

الثاني: أن يكون الفعل (سمع) مضمّناً معنى الفعل (استجاب) فيتعدى بحرف الجرّ (اللام)، كقولنا في الصلاة وبعد الرفع من الركوع نقول: (سمع الله لمن حمده)، فعُدّي باللام؛ لأنَّ المقصود هو الفعل (استجاب) فكأنما أخذنا اللام من فعل الإستجابة وعدّينا الفعل (سمع) بها؛ لتعطي معنى الإستجابة وليس الإستماع؛ أو أنها تؤذن بمعنى زائد وهو الاستجابة المقارنة للسمع[٥٤]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾[سورة المنافقون: ٤].

الثالث: أن يكون الفعل (سمع) متضمّناً معنى (أخبر أو أعلم) فيتعدى بحرف الجرّ (الباء)، وتعديته بالباء إِمَّا لِأَنَّهُ ضُمِّنَ مَعنَى أخبرَت، كَما في المَثَلِ: (تسمعُ بالمعيدي خير من أن تراه)[٥٥]؛ أَيْ تُخبَر به؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا ﴾ [سورة يوسف: ٣١]، أو أَنْ تَكُونَ الباء زائدة للتوكيد، كما في قوله تعالى: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ [سورة مريم: ٣٨].

٤. أن يكون الفعل (سَمِعَ) قاصراً أو متعدياً الى مفعول به مقدّر.

ورد الفعل (سمع) قاصراً في القرآن الكريم، وإن كان الأصل فيه أن يكون متعدياً، كما في قوله تعالى: ﴿ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٠٠]، فلم يرد مفعول (يسمعون) في النصّ، لأنّه لا يحتاج هنا إلى مفعول ولا يريد أن يقيد السمع بشيء، ويمكن أن يفهم مفعوله من دلالة السياق كقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴾ [سورة مريم: ٤٢] فكلمة (شيئاً) تشير إلى اشتراك الأفعال (يسمع -يبصر -يغني) بها من حيث المعنى، أو أن المراد هو أصل

(٥٤) ينظر: نتائج الفكر: ٣٥٣، و أسرار البيان في التعبير القرآني: ٧٠.

(٥٥) ينظر: المثل وتفسيره في: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٢/ ١٦٨.

السمع ومعناه، لذلك لم يقيّد السمع أو البصر بشيء معين.

وقد يكون الفعل متعدياً وحذف مفعوله بدلالة السياق عليه، كقوله تعالى: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ﴾ [سورة فاطر: ١٤]، فمفعول (لا يسمعوا) مذكورٌ وهو دعاءكم، أمّا مفعول (لو سمعوا) فمحذوف[٥٦]؛ لدلالة المفعول الأوّل عليه. ويبدو أن حذف فعل السمع في القرآن الكريم يكون إما لعدم ارادة تقييد السمع بشيء، أو لدلالة السياق عليه.

المحور الرابع:
الافراد والجمع وتعاور المفردات في سياق ألفاظ السمع.

- تعاور المفردات في سياق ألفاظ السمع.

جاء قوله تعالى ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا ﴾ في ثلاث سور قرآنية كريمة، الأولى في سورة مريم: ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [سورة مريم: ٦٢]؛ إذ جاء الفعل يسمعون منفياً عن اللغو فقط وهو الباطل أو الكلام غير النافع، مع استثناء سماع السلام، والثانية في سورة الواقعة ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾ [سورة الواقعة: ٢٥ -٢٦] وورد فيها (تأثيماً) معطوفاً على اللغو مع استثناء (قيلاً سلاما)، والثالثة في سورة النبأ ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴾ [سورة النبأ: ٣٥]، إذ عطف لفظة (كذابا) على اللغو من غير استثناء.

والمتأمّل في النصوص القرآنية السابقة يجد فروقاً دقيقة في سياقتها اقتضت أن تساق في الشكل الذي وردت فيه، مع توافق تلك النصوص بذكر الجنة، إذ جاءت صفة نفي سمع اللغو في الجنة في النصوص ثلاثتها، ولكنها اختلفت في أنّ النصّ الأوّل ذكر اللغو من غير عطف، وذلك في سياق ذكر الجنة بمفهومها العام، إذ ذكر الجنات التي وعد الرحمن عباده المؤمنين أن يدخلوها بالغيب، لأنهم لم يروها ولم يعاينوها، فهي غيب لهم، ((ووعده في هذا الموضع مأتي يأتيه أولياؤه وأهل طاعته الذين يدخلهموها

(٥٦) ينظر: شرح المقدمة المحسبة: ٣٦٦.

الله))[٥٧]. ولم يذكر أيّ موضع من مواضع تلك الجنات، أو أيّ وصف من أوصافها أو محتواها، فلم يذكر أشجارها وثمارها وشرابها وحورها، بل اقتصر الكلام عن الجنات من غير كلّ ما ذكر في غير هذه الآية من اوصاف، فجاء النفي عن سماع اللغو فقط وهو الباطل من الكلام وقصر السماع على السلام وهو الخير؛ لأنّ ((اللغو ما يلغى من الكلام ويؤثم فيه، و (سلاماً) اسم جامع للخير مُتَضَمِّنٌ للسلامة، فالمعنى أن أهل الجنة لا يسمعون إلا ما يُسَلِّمُهُمْ))[٥٨].

أمّا في سورة الواقعة فوصف جنات النعيم بأوصاف متنوعة من جانب السرر وطريقة الجلوس عليها، ووجود الولدان المخلدون، و الأكواب والأباريق والكؤوس، والفاكهة واللحم والحور العين التي هي كاللؤلؤ، وهذه الصفات قد يدخل فيها القول بالتأثيم حسب المتعارف في غير الجنة التي وصفها الله، فاقتضى السياق أن ينفي عنها ذلك التأثيم إلى جنب اللغو، ويحصر السماع بـ(قيلاً سلاما)؛ إي: ليس فيها ما يُؤثمهم[٥٩]؛ فلا يسمعون فيها اللغو الذي هو الباطل ولا يسمعون ما يؤثمهم، فإن قيل: كيف عطف التأثيم على اللغو، مع كونه لا يسمع كما يسمع اللغو، فنجيب على ذلك بأن ذلك محمول على قوله: أكلت خبزا ولبنا، واللبن لا يؤكل، فجازت إذ كان معه شيء يؤكل[٦٠]، أو أن الفعل (يسمعون) ضمّن معنى فعل أعمّ وأشمل من معنى السمع ليشمل المفعولين.

والذي يبدو أن المراد القول بالإثم لا الإثم نفسه بدلالة حصر المسموع بقول السلام، والمعنى ((لَا يَسْمَعُونَ فيها من القول إِلَّا قِيلًا سَلَامًا))[٦١]، والقول بالتأثيم لا يُسمع في تلك الجنة

(٥٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٨/ ٢٢٠.

(٥٨) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣/ ٣٣٧.

(٥٩) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢١/ ٣٧.

(٦٠) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٣/ ١٠٨، والهداية الى بلوغ النهاية: ١١/ ٧٢٦٩.

(٦١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٣/ ١٠٨.

بخلاف الدنيا لأنّه من الباطل؛ أي ((لا يسمعون في الجنة باطلاً ولا كذباً، ولا يتخالفون عليها كما يتخالفون في الدنيا، ولا يأثمون بشربها، كما يأثمون في الدنيا، كما لا يسمعون فيها شتماً ولا مأثماً لكنهم يسمعون قولاً يؤدي إلى السلامة))[٦٢]، فالجنة الموصوفة بتلك الصفات تختلف عن هذه الدنيا، إذ لا يلغو أحدٌ فيها ولا يأثم فيه أحدٌ، فالسياق اقتضى أن تعطف كلمة التأثيم على المنفي عن السماع لتوضيح الفرق بينها وبين الدنيا بما فيها من اللغو والتأثيم المصاحب لبعض هذه الصفات.

أما الآية في سورة النبأ فعطف فيها اللغو إلى لفظ (كِذَّابا)، والسياق بذكر الجنة بحدائقها وأعنابها وكواعبها وكأسها غير أنه مسبوق بذكر الكذابين الذين جعل الله مصيرهم النار، وذلك بقوله: ﴿ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴾ [سورة النبأ: ٢٨] فجاء النصّ لينفي تلك الصفة عمّا يسمع في الجنة، وينزّه الجنة عن صفاتهم ومنها اللغو والتكذيب. وبيّن الرازي (ت بعد٦٠٦هـ)[٦٣] الفرق بين (كذّابا) و (تأثيما)؛ إذ أوضح أن (كذَابا) يُراد به كثرة التكذيب والمبالغة فيه، فهم لا يسمعون كذبا ولا أحدا يقول لآخر: كذبت، لأنهم في الجنة لا يعرفون كذبا من معين من الناس لاختلاف الدنيا عن الجنة المنفي عنها التكذيب.

والتأثيم أبلغ في موضعه من التكذيب، لأن من يقول في حق من لا يعرفه: إنه زان أو شارب الخمر على غير علم يأثم، فخص كل سورة على بيان أحوال المذكورين بها، وهم السابقون في سورة الواقعة، والمتقون في سورة النبأ، والسابق أعلى درجة من المتقي. وكل تلك الصفات جاءت لتحقيق حياة الجنة وهي حياة مصونة من اللغو ومن التكذيب الذي يصاحبه الجدل ولا مجال فيها لجدل ولا لتكذيب ولا مجال للغو الذي لا خير فيه، وهي حالة من الرفعة والمتعة تليق بدار الخلود بخلاف دار الفناء[٦٤]، وفيها كل وسائل الراحة المذكورة في النصوص

(٦٢) النكت والعيون: ٥/ ٤٥٢.

(٦٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٩/ ٤٠١.

(٦٤) ينظر: في ظلال القرآن: ٦: ٣٨٠٨.

القرآنية الثلاثة مجمّلة بالسلام الذي يشيع فيها وهو الرحمة الالهية بعينها.

- الافراد والجمع وتعاور المفردات في سياق ألفاظ السمع.

إنَّ المحقق في الفعل سمع في قوله تعالى: ﴿ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ له أن يسأل سؤالين، الأول عن جمع كلمة آية في النص مع مجيئه مفرداً في سياق آخر مع لفظ (يسمعون)، والثاني عن تعاور الفعلين (يسمعون) و (يعقلون) وشبه الجملة (للعالمين) في السياق نفسه في آيات متنوعة من القرآن الكريم.

وللوقوف على دلالة ذلك والاجابة عن السؤالين ينبغي على الدارس أن يفحص سياق الآيات، إذ ورد لفظ (آيات) بصيغة الجمع في سورتي يونس والروم، وفيه اشارة إلى أن المذكور في الآيتين أكثر من دلالة وعلامة، لأن القرآن الكريم إنما يستعمل اللفظ مفرداً وجمعاً لحكمة بالغة، تتوافق مع السياق الذي يرد فيه، حتى يكون الكلام أبلغ في تحقيق غايته والوصول إلى هدفه، إذ جاء في سورة يونس: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [سورة يونس: ٦٧]؛ لأنّ (الجعل) كلمة مكثفة تجمع مراحل الخلق كلها حتى الصورة النهائية، ومع ذلك فإنّ النص يصور آيات جعل الليل للسكون، والنهار للإبصار، فناسب ذلك أن تأتي كلمة (آية) بصورة الجمع، وكذلك في سورة الروم في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [سورة الروم: ٢٣]؛ إذ أوضح السياق القرآني آيات المنام في الليل والنهار، والابتغاء من فضل الله وكلها من صنع الله تعالى؛ لأن النائم لا يعرف من نومه -كما سيتضح -إلا الاستعداد له ووجه جعل ذلك (آيات) لا (آية) واحدة؛ لما ينطوي عليه من تعدد الدلالات بتعدد المستدلين وتولد دقائق تلك الآية بعضها عن بعض[٦٥]؛ قال ابن عادل(ت بعد٨٨٠هـ): ((وقوله إِنَّ فِي ذلك لآيَاتٍ يدلُّ على أنَّه -تعالى -أراد بتخليقِ الليل

(٦٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٢١/ ٧٤-٧٥.

والنهار أنواعاً كثيرة من الدلائل))[٦٦]؛ فصحّ مجي الآيـة بصيغة الجمع لمناسبة السياق في الآيتين السابقتين، إذ عرض القرآن الكريم تلك الآيات لتوجيههم إلى هذه المشاهد بعرضها عليهم كأنها مشاهد جديدة دون أن يثير ذلك الجدل الذهني، فيعرض عليهم في كل مرة مشاهد مألوفة: محسوسة أو معروفة، تطالع حواسهم في كل لحظة، وتواجه بديهتهم في كل نظرة، وتتصل بحياتهم ومعاشهـــم، وتلمس شعورهم ووجدانهم، ولقد يتخطى منطقة الذهن كلها، ومنطقة الحواس جميعها[٦٧].

أمّا في سورة النحل فوردت كلمة آية مفردة في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴾[سورة النحل: ٦٥]؛ ذلك لأنَّ المذكور في النصّ آية واحدة لا آيات وإن كانت ليست صنفاً واحداً، فلّما ((كان المذكور في كلِّ آية صنفاً واحداً جعل ما دلّ منه على الصانع آية واحدة. فإن قال قائل: إنّ الأنعام وثمرات النخيل والأعناب قد جُمعت، وليس جمعها صنفاً واحداً، وكان على قضيتك يجب في الاختيار أن يقال هنا: إن في ذلك لآيات؟. قيل له: إن قوله: (إن في ذلك) إشارة إلى ثمرات النخيل والأعناب دون الأنعام، وذلك صنف واحـد))[٦٨]. ويظهر أن القرآن الكريم قد يستعمل المفرد في موضع ويستعمل الجمع في موضع آخر شبيها بالأول لدلالة بيّنة يحكمها السياق؛ إذ إن السياق القرآني يفرض على النص استعمال مفردة دون غيرها وافرادها وجمعها بغية مناسبتها له، ليكون الكلام أدل على المراد وأبلغ في تحقيقه.

أمّا استعمال الفعل (يسمعون) دون غيره من الخيارات القرآنية المستعملة، كما في قولـه: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴾ [سورة الروم: ٢٢]، وقولـه: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾

(٦٦) اللباب في علوم الكتاب: ١٠/ ٣٧٣.
(٦٧) ينظر: التصور الفني في القرآن: ١/ ٢٣٤.
(٦٨) درة التنزيل وغرة التأويل: ١/ ٨٤٩.

[سورة الروم: ٢٤]؛ ذلك للدلالة على سماع تلك العبر سماعَ فاحص متبصر؛ لما في ذلك من حجج ودلائل ((وذكرى وأدلة على أنَّ فاعل ذلك لا يُعجزه شيء أراده (لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) مواعظ الله، فيتعظون بها، ويعتبرون فيفهمون حجج الله عليهم))[٦٩]؛ أي: ينتفعون بسمعهم، لأنّ السمع يجوز أن يعبّر به عن الإجابة؛ فيقال: (لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) المواعظ فيقبلونها فينتفعون بها[٧٠]؛ حتى يتبيّن ما في قدرة الله من دلائل لمن سمع مواعظ الله فيتعظ بها؛ قال الطبري: ((لأن المراد منه: الذين يسمعون هذه الحجج ويتفكرون فيها، فيعتبرون بها ويتعظون. ولم يرد به: الذين يسمعون بآذانهم))[٧١]. فصورة النوم فيها انقطاع وسكون، ثم حركة الاستيقاظ وفيها حياة وحركة ونشاط يدرك بالسماع، ثم هناك أيضا صورة الأرض الجرداء الميتة التي تحيا بالمطر، فتنبت الزروع والثمار. فالقرآن الكريم يعرض هذه الصور، لتقوم بوظيفتها في مخاطبة عقل الإنسان، والتأثير فيه؛ لذلك جاءت الفواصل القرآنية في سورة الروم في التعقيب على هذه الصور (يتفكرون -للعالمين -يسمعون) وختمت بالفعل يعقلون[٧٢].

وأوضح بعض الباحثين[٧٣] ما في هذه الآيات من الدلالات والعبر لمن تدبرها وتأملها، وذلك من وجهين:

أحدهما: أن حالتي الليل والنهار والراحة والتعب متعاورتان على الناس، قد اعتادوهما، فقلَّ من يتدبّر في دلالتهما، فمعظم الناس في حاجة إلى من يوقفهم على هذه الدلالة ويرشدهم إليها.

وثانيها: أن في ما يسمعه الناس من أحوال النوم ما هو أشد دلالة على عظيم صنع الله تعالى مما يشعر به صاحب النوم من أحوال نومه؛ لأن النائم لا يعرف من نومه إلا الاستعداد له، وإلا أنه حين يهب

(٦٩) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٠/ ٨٧.

(٧٠) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٨/ ٢٦٢-٢٦٣.

(٧١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٥/ ١٤٣-١٤٤.

(٧٢) ينظر: وظيفة الصورة الفنية في القرآن: ٤٥٢.

(٧٣) ينظر: الآيات الكونية دراسة عقدية: ٥٠٦.

من نومه يعلم أنه كان نائما، فأما حالة النائم في حين نومه ومقدار تنبهه لمن يوقظه، وشعوره بالأصوات التي تقع بقربه فتنبهه أو لا تنبهه، كل ذلك لا يتلقاه النائم إلا بطريق الخبر من الذين يكونون أيقاظا في وقت نومه. ف السمع يمثل طريق العلم بتفاصيل أحوال النائمين واختلافها.

ولنا أن نسأل أيضا: أنه لما ذكر السكون في الليل على أنه جعل النهار للسعي وطلب العيش، وقال في النهار: (مبصرا) أي: يبصرون فيه ما يتعيشون، فلماذا قال: (لقوم يسمعون): ولم يقل: (يبصرون)، وما سبق من الذكر يقال فيه يبصرون؛ لأنه قال: (والنهار مبصرا)[٧٤]؛ وفي الإجابة عن ذلك نقول إن النصّ ليس في معرض الحديث عن النظر لتلك الآيات وسماعها، بل هو في معرض الحديث عن الحجج والبراهين التي يجب أن ينتفعوا بسماعهم لها، ويستجيبوا لها، فيفهمونها، ويتَّعِظون بها.

ويظهر أنَّ المنهج القرآني يستخدم المشاهد الكونية كثيراً في معرض الحديث عن قضية الألوهية، لأن هذا الكون بوجوده وبمشاهده شاهد ناطق للفطرة لا تملك لمنطقه رداً، فيخاطب الناس بما في علاقتهم بهذا الكون من تناسق. فهذا الليل الذي يسكنون فيه، وهذا النهار الذي يبصرون به ظاهرتان كونيتان شديدتا الاتصال بحياتهم. وتناسق هذه الظواهر الكونية مع حياة الناس يحسونه ولو لم يتعمقوا في البحث والعلم بوجود فطرتهم الداخلية[٧٥].

ويبدو أنَّ مطابقة الكلام لمقتضى الحال أو السياق ظاهرة بيّنة في استعمال المفردة القرآنية، إذ إنّ مجيء كلمة (آية) مع الفعل (يسمعون) بالإفراد مرة، والجمع مرتين وتعاور الفعل يسمعون مع الفعل (يعقلون) وشبه الجملة (للعالمين) إنّما هو لمناسبة السياق ومطابقة الكلام لمقتضى الحال وهذا ما تستسيغه البلاغة القرآنية.

المحور الخامس:

المساوقة القرآنية لألفاظ السمع.

يبدو للباحث في ألفاظ السمع في القرآن الكريم أنها كثيراً ما تجتمع مع

(٧٤) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٦/ ٦٣.

(٧٥) ينظر: في ظلال القرآن: ٣/ ١٨٠٥.

ألفاظ (البصر والعقل والفؤاد) وقد تتقدم أحدها على الأخرى، لكنّ السائد في القرآن الكريم أن (السمع) يتقدّم على البصر أو الأبصار في كثير من النصوص القرآنية، كقوله تعالى: ﴿ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ [سورة يونس: ٣١]، وعلل ذلك المفسرون بأن السمع أهم من البصر وأفضل منه، لأن التقديم دليل على التفضيل، ولأن السمع شرط النبوة بخلاف البصر، ولذلك ما بعث الله رسولا أصم، وقد كان فيهم من كان مبتلى بالعمى، والبصر لا يوقفك إلا على المحسوس[٧٦]، ومما يدلّ على فضل السّمع أنّ القرآن الكريم جعل الصمم سبباً لفقدان العقل[٧٧]، كقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[سورة يونس: ٤٢].

وبين الدكتور فاضل السامرائي[٧٨] أن تقديم السمع يمكن أن يكون لسبب آخر عدا الأفضلية والأهمية وهو أن مدى السمع أقل من مدى الرؤية فقدم ذا المدى الأقل متدرجاً من القصر إلى الطول في المدى ولذا حين قال موسى في فرعون: ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾ [سورة طه: ٤٥] قال الله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [سورة طه: ٤٦] فقدم السمع لأنه يوحي بالقرب إذ الذي يسمعك يكون في العادة قريباً منك بخلاف الذي يراك فإنه قد يكون بعيداً وإن كان الله لا يند عن سمعه شيء.

وقد ورد البصر مقدماً على السمع في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ [سورة السجدة: ١٢]؛ وذلك ليس للأهمية كما سبق، وإنما لتحقق الرؤية قبل السمع، قال الزمخشري: ((يعنى: أبصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك. أو كنا عمياً وصماً فأبصرنا وسمعنا فَارْجِعْنا هي الرجعة

(٧٦) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٩٤ -٢٩٥، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١/ ١٢١، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ١/ ٣٨.

(٧٧) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ١/ ١٣.

(٧٨) أسرار البيان في التعبير القرآني: ١٩.

إلى الدنيا لَآتَيْنا كُـلَّ نَـفْسٍ هُـداها على طريق الإلجاء والقسر))[٧٩]، وذلك لأنّهم أبـصروا ما وعـد الله أولاً، فقدّم البصر على السمع لإفادة الترتيب لمطابقة الكلام لمقتضى الحـال، ويظهر أن السمع يُقدّم على البصر إذا كان السياق يذكر الفعلين على مستوى العموم لا الترتيب، لأفضلية السمع على البصر، أما إذا كان المراد بيان الترتيب كما في النصّ السالف فيقدّم الأول على الثاني لذا قدّم فعل البصر على السمع.

كـما يلحظ أن الـنصّ الـقـرآني جَمَـعَ القُلُوبَ وَالأَبـصَـارَ وَأفـرد السَّمعَ، وقد أوضح الرازي أنَّ السمع جاء مفرداً على تقدير مُضَافٍ مَحذُوف؛ أَي: وَعَلَى مواضع سَمعِهِم[٨٠]. ويبدو أن الكلمة القرآنية إنما تكون جمعاً إذا دلّت على غير مفرد، فإنهم يبصرون كثيراً من المشاهد التي يكون لها في الوقت نفسه سمعاً موحداً؛ لأنّ العين تبصر كـلَّ المشاهد واحـدا بمعـزلٍ عن الآخر، أما الأذن فتسمع تلك الأصوات كما تسمع صوتاً واحداً، ويدلّ على ذلك أن القرآن الكريم قد يستعمل البصر مفرداً إذا دلّ على مشاهدة واحدة، أو إذا ذكره على مستوى العموم، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[سورة الاسراء: ٣٦].

وقد يقدّم السمع على الفؤاد كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [سـورة السجدة: ٩]؛ لأنّ السماع مرتبة متقدمة على التفكر والانتفاع والاطمئنان الـذي يكون في القلب، فالإنسان يسمع ويبصر ثمَّ يفهم فيفكّر، أمّا إذا قدّم القلب على السمع كما فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾[سورة البقرة: ٧]، فللترتيب أيضا لأنّهـم كانوا يسمعون الكلام ولا ينتفعون به، وهذا دالّ على تعطيل القلوب أولاً.

وقـد بـيّن بعض المفسرين أن تقديم السمع على القلب في موضع وعكسه في آخـر؛ لأنَّ كفار مكة كانوا يبغضون

(٧٩) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٣/ ٥١٠.

(٨٠) مفاتيح الغيب: ٢٩٤ -٢٩٥.

الرسول الأكرم بقلوبهم ولم يستمعوا إليه، فكان الأثر ينزل من جوهر النفس إلى قرار البدن فناسب ذلك تقديم القلب، وكفار المدينة كانوا يبثّون في الناس قولهم بأنّه شاعر يطلب الملك، والناس إذا ما سمعوا قولهم أبغضوه ونفرت قلوبهم عنه. فكان الأثر يصعد من البدن إلى جوهر النفس فناسب ذلك تقديم السمع، فجاء الترتيب في كل سورة مناسبا للسياق الذي ورد فيه[٨١].

وقد ورد السمع مقدماً على العقل في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [سورة الملك: ١٠]؛ وذلك لأن الدين لا يتم إلا بالتعليم فقدم السمع على العقل لأنه أصل فيه يترتب عليه الفهم لما يلقيه المعلم؛ لأنهم كانوا إذا لقوا الرسول فأول المراتب أنهم يسمعون كلامه ثم يتفكرون فيه، فلما كان السمع مقدما بهذا السبب على التعقل والتفهم قدم عليه[٨٢]. فيظهر أن القرآن الكريم إذا عرض تلك الأفعال ولم يرد الترتيب قدّم السمع على العقل والبصر والفؤاد للأهمية، وإذا اقتضى ترتيب تلك الأفعال وفق الحدث أو المشهد المراد فيقدم البصر على السمع، أو يقدم الفؤاد عليه.

الخاتمة:

يمكن ايجاز النتائج التي انتهى إليها البحث بما يأتي:

- أنَّ المعنى اللغوي العام للفعل سمع هو الادراك، وهو ادراك الصوت بالأذن، وقد يرد بصيغ متنوعة تدلّ على آلة السمع أو الصوت المسموع أو الاصاخة والإصغاء.
- جاء الفعل (سمع) في القرآن الكريم بمعانٍ متنوعة يكون معنى الادراك هو الأساس فيها، منها ادراك المسموع والعلم به، ومنها ادراك المسموع وفهمه والانتفاع به، ومنها ادراك المسموع والاصغاء والاستجابة له، وبرز دور السياق في تحديد تلك المدلولات.
- غلب اجتماع ألفاظ السمع مع ألفاظ

(٨١) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٦/ ١١٣.

(٨٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣٠/ ٥٨٨، واللباب في علوم الكتاب: ١٩/ ٢٤٠.

(البصر والعقل والفؤاد) في القرآن الكريم، وتقدّم أحدهما على الأخر، لكنّ السائد في القرآن الكريم أن (السمع) يتقدّم على تلك الألفاظ في كثير من النصوص القرآنية لأهميته، أو لإرادة الترتيب، وقد تتقدم تلك الألفاظ عليه في مواضع قرآنية أخرى لإرادة الترتيب.

- الأصل في الفعل (سمع) أن يتعدى إلى مفعول واحد غير أن الاستعمال القرآني للفعل جاء على أربع حالات من حيث التعدّي واللزوم، فجاء متعدياً إلى مفعول واحد، ومتعدياً إلى مفعولين، وجاء متعدياً بحرف جر (إلى -اللام -الباء) إذ أشرب معنى فعل آخر على سبيل التضمين، وجاء لازماً إمّا لكونه أشرب معنى فعل لازم أو لعدم حاجته إلى مفعول به لإرادة السمع بمفهومه العام و عدم تقيده بشيء.
- قد تتعاور المفردات، وتأتي بصيغ الافراد والجمع في سياق ألفاظ السمع في القرآن الكريم لمناسبة السياق القرآني ومطابقة الكلام لمقتضى الحال وهذا ما تستسيغه البلاغة القرآنية.

أهم المصادر والمراجع:

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: العماديّ، أبو السعود محمد بن محمد (ت٩٨٢ هـ)، تح: عبد القادر احمد عطا، مكتبة الرياض، (د. ت).
- أسرار البيان القرآني: الدكتور فاضل صالح السامرائي، (د. ت).
- البسيط في شرح جمل الزجّاجيّ: ابن أبي الربيع، عبيد الله بن أحمد (ت٦٨٨هـ)، تح: د. عيّاد بن عيد الثبيتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.
- تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (د. ت).
- تأويلات أهل السنة: الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود (ت٣٣٣هـ)، تح: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،

ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: ابن عاشور، الشيخ محمد الطاهر (ت١٣٩٣هـ)، دار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
- التصور الفني في القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، ط١٧، (د.ت).
- تفسير القرآن: السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى (ت: ٤٨٩هـ)، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت١٠٩٣هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٩ هـ-١٩٨٩ م.
- الخصائص: ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت٣٩٢هـ)، تح: محمد علي النجار وآخرين، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- درة التنزيل وغرة التأويل: الخطيب الاسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني (ت: ٤٢٠هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١ م.
- زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي -بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ.
- شرح التسهيل: ابن مالك، أبو عبد الله جمال الدين (ت ٦٧٢هـ) تح: د. عبد الرحمن السيد، ود. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٠ -١٩٩٠م.
- شرح المفصل: ابن يعيش، موفق الدين النحوي (ت ٦٤٣هـ). عالم الكتب، بيروت، (د. ت).
- شرح المُقَدمة المحسبة: أحمد بن بابشاذ (ت ٤٦٩هـ). تح: خالد عبد الكريم،

المطبعة العصرية، ط١، الكويت ١٩٧٧م.
- شرح جمل الزجاجي: الأشبيلي، أبو الحسن علي بن مؤمن بن عصفور (ت ٦٦٩هـ)، تح: د. صاحب أبو جناح، دار الكتب، الموصل، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢ م.
- علم الدلالة: أحمد مختار عمر، دار العروبة للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٢م.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان: النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (ت: ٨٥٠هـ)، تح: زكريا عميرات، دار الكتب العلميه -بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ.
- الآيات الكونية دراسة عقدية: رسالة ماجستير أجيزت في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة/ كلية أصول الدين/ جامعة الإمام محمد بن سعود: عبد المجيد بن محمد الوعلان، إشراف: عبد الكريم بن محمد الحميدي، ١٤٣٢ هـ / ١٤٣٣ هـ.
- اللباب في علل البناء والإعراب: العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله البغدادي (ت: ٦١٦هـ)، تح: د. عبد الإله النبهان، دار الفكر -دمشق، ط١، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.
- اللباب في علوم الكتاب: الدمشقي، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي، (ت بعد٨٨٠هـ)، تح: عادل احمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٨م -١٤١٩هـ.
- لطائف الإشارات: القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت: ٤٦٥هـ)، تح: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب -مصر، ط٣.
- اللغة والمعنى والسياق: جون لاينز، ترجمة: الدكتور عباس صادق الوهاب، مراجعة: الدكتور يوئيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٧م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي(ت٥٤٦هـ)، تح:

عبد السلام عبد الشافعي محمد، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط١، ١٩٩٣م –١٤١٣هـ.

- المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: ٤٥٨هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية –بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ –٢٠٠٠ م.
- المخصص: ابن سيده، تح: خليل إبراهم جفال الناشر، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط١، ١٤١٧هـ –١٩٩٦م.
- معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، إبراهيم بن السري (ت٣١١هـ)، تح: الدكتور عبد الجليل عبده شبلي، عالم الكتب.
- المقتصد في شرح الإيضاح: الجرجاني، عبد القاهر (ت ٤٧١هـ). تح: الدكتور كاظم بحر المرجان. دار الرشيد للنشر –بغداد ١٩٨٢م.
- نتائج الفكر في النحو: السهيلي، أبو القاسم (ت٥٨١هـ)، تح: محمد البنا، دار الرياض للنشر والتوزيع.
- نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد: اليازجي، إبراهيم بن ناصف الْحِمْصِيّ (ت: ١٣٢٤هـ)، المعارف، مصر، ١٩٠٥ م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي (ت: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د. ت).
- النكت والعيون: الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب البصري (ت٤٥٠هـ)، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: مكي بن أبي طالب، أبو محمد القرطبي المالكي (ت: ٤٣٧هـ)، تح: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩ هـ.